الفصل الثاني

obeikandl.com

obeikandl.com

حيرة قريش في أمره ﷺ
وسؤالهم اليهود عنه

كان أهل مكة في حيرة من أمر النبي ﷺ فهو يحاور عبدة الأصنام ، وعبدة الكواكب والنجوم ، وعبدة الملائكة وعبدة الجن ، ومنكري الخالق ، ومنكري البعث والحساب فيلزمهم جميعًا الحجة الدامغة ...

واستمرار في حيرة من أمره ولو شاء الله لهم الهداية لهداهم ...

ومما زاد حيرتهم وتعجبهم أنه يقص عليهم أنباء السابقين نبأ نوح وإبراهيم ويعقوب و الأسباط وموسى وعيسى ويحدثهم عن قارون وفرعون وهامان .. ويحدثهم عن عاد وثمود ... وما سألوه عن شيء إلا أجابهم عنه .

ثم إنه يحدثهم عن الثواب والعقاب والحشر والصراط والميزان والجنة والنار ويلزم كل واحد منهم حجته .

فلما يئس المشركون من محمد ﷺ أرادوا أن يجدوا حلاً لحيرتهم فقرروا أن يرسلوا إلى أحبار اليهود وليسألوهم عن حقيقة أمره ...

obeikandi.com

المشهـــد الأول

حـــوار فـــي دار النـــدوة

في دار الندوة بمكة اجتمع الكفار كعادتهم يتشاورون في أمر محمد ﷺ

فقال أبو جهل :

يا قوم ، لو أن النضر بن الحارث ووالده الحارث بن كلدة طبيب قريش والعرب أتيا بما جاء به محمد لصدقناهما ، لأنهما عرفا أجزاء الحكمة .

ولو كان أمية بن أبي الصلت هو الذي أتى بما جاء به محمد لصدقناه ؛ لأنه يقرأ الكتب ويطلع على التوراة والأنجيل وديانات الآخرين كل ذلك يؤهله للرسالة التي أرهصت بها البشارات ، قبل أن يطلع علينا محمد بما طلع.

أبو الحكم :

يا معشر قريش إنكم تتحدثون في أمور لا نفع فيها وتتركون مهام الأمور .. إن خبر محمد قد ذاع في الأوس والخزرج في بلاد يثرب وراح الناس هناك يتحدثون عن محمد وبما يحدث بيننا وبينه ..

عقبة بن أبى معيط :

نعم إن الخطب جلل عظيم . فأبو قيس بن الأسلت الذي يحبنا ونحبه بلغه ما فعلنا بمحمد وقد أرسل لنا رسولاً ومعه قصيدة يعظم فيها الحرمة وينهانا عن الحرب يأمرنا بالكف عن القتال والتحرش بمحمد ويذكرنا بالفضل والحلم والعفو .

أبو جهل:

إن أبا قيس بن الأسلت يحبنا ونحبه فهو لنا صهرٌ وكانت عنده أرنب بنت أسد بن العزي بن قصى ...

obeikandl.com

وكان يقيم عندنا السنين بامرأته ، وهو إن أرسل إلينا بالنصيحة فنعم الناصح الأمين .

ولكنه لو نصحنا في غير هذا الأمر لسمعنا وأطعنا . أما في أمر محمد ، فلا سمع ولا طاعة، ولا صلح معه ولا هوادة حتى يرجع عن تسفيه أحلامنا وسب آلهتنا ويبتعد عن هذا الطيش وهذا الشطط الذي هو عليه .

عقبـــة :

يا معشر قريش إن الرجل يذكرنا بلاء الله عندنا ودفعه عنا الغيل وكيده ... أما سمعتم ما قاله في قصيدته وألقي القصيدة على أسماعهم .

وبعد أن سمعوا القصيدة وجلسوا وكأن على رؤوسهم الطير.

قال عقبة :

إنه ينجو منا الفرقة التي وقعت بين الأوس والخزرج عندهم في يثرب ويذكرنا بأيام داحس وحرب حاطب .

عكرمة بن أبي سفيان : وما حرب داحس هذه يا عماه ؟

أبو سفيان بن حرب : أما تعرف حرب داحس يا ولدي ؟

عكرمة :

لا يا أبتاه إنني لم أحضر هذه الحرب .

أبـو سفيـان :

داحس كان فرساً لقيس بن زهير أجراه مع فرس لحذيفة بن بدر يقال لها الغبراء .. فدس حذيفة قومًا وأمرهم أن يضربوا وجه داحس إن رأوه قد جاء سابقًا فجاء داحس سابقًا فضربوا وجهه وجاءت الغبراء .

فلما جاء فارس داحس أخبر قيسًا الخبر ، فوثب أخوه مالك بن زهير فلطم وجه الغبراء ، فقام فحمل بن بدر فلطم مالكاً ، ثم إنا أبا الجنيدب العبسي لقي عوف بن حديفة فقتله ثم لقي رجل من بني فزارة مالكاً فقتله فكانت حرب داحس بين الحيين .

فقال أبو جهل : ولعلك يا ولدي لا تسمع عن حرب حاطب ؟

عكرمـــة :

أبدًا يا عماه لعلها ، كانت أيضًا من أجل حمار ، فالحروب تقوم لأتفه الأسباب .

أبو جهـــل :

حرب حاطب يا بني كانت بيثرب فقد قتل حاطب الأوسي يهوديًّا كان جارًا للخزرج ، فخرج إليه ابن فسحم الخزرجي ليلاً في نفر من بني الحارث بن الخزرج فقتلوه ، فوقعت الحرب بين الأوس والخزرج فاقتتلوا قتالاً شديداً كانت الغلبة فيها للخزرج .

حكيم بن أمية بن حارث السلمي :

قام حكيم وقد أسلم خفية وقال : والله لأصرف قومي عما أجمعوا عليه من عداوة محمد فنحن لسنا في حاجة إلى قتال .

النضـــر بـن الحارث :

وهو ابن خالة رسول الله ﷺ وكان من ألد خصومه فقال :

يا معشر قريش إنه والله قد نزل بكم أمر ما أوتيتم له بحيلة بعد ،قد كان محمد فيكم غلامًا حدثاً أرضاكم فيكم ، وأصدقكم حديثًا ، وأعظمكم أمانة ، حتى إذا ما رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر ، لا والله ما هو بساحر ، لقد رأينا السحرة نفثهم وعقدهم ، وقلتم كاهن ، لا والله ما هو بكاهن ، قد رأينا الكهنة وتخالجهم وسمعنا سجعهم وقلتم شاعر ، لا والله ما هو بشاعر ، قد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ، ورجزه .

وقلتم مجنون ، لا والله ما هو بمجنون لقد ، رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه .

يا معشر قريش : فانظروا في شأنكم فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم

حكيم بن أمية :

يا قوم أنا أرى بعد أن سمعنا هذا الكلام أن نذهب إلى محمد ونعلن إسلامنا وندخل في دين الله أفواجًا فتصبح مكة منارة التوحيد ويعود إليها الوئام والسلام .

أبو سفيان :

يا قوم ، نرسل إلى محمد ، فيأتينا هنا نجادله في أمره حتى نزداد ثقة مما جاء به .

أبو جهل :

وما فائدة هذا الجدال وما قام أحد منالـه ولا قعد في مناقشة إلا وقد دحضه وانتصر عليه

أبو الحكم وقد قام من مكانه :

يا قوم أنا أرى أن نبعث رسلنا إلى أحبار اليهود في يثرب نسألهم عنه فإنهم أهل الكتاب الأول وسيخبروننا عنه بالخبر اليقين .

أبو سفيان : نعم الرأي يا أبا الحكم .. ولكن من يذهب إلى يثرب ؟

أبو الحكم :- وقد سكت قليلاً :

لابد أن نرسل لهم رجلين من أشد الرجال عداوة لمحمد .

أبو سفيان : ولماذا لا نرسل لهم اثنين من أقاربه ؟

أبو الحكم :

يا قوم ، نحن لسنا في حاجة إلى رسل محايدين ، بل نحن في حاجة إلى رسل لكيلا يكون هناك أي شك ، فمن نرسله إليهم لابد وأن يكون ثقة .

obeikandi.com

المشهـــد الثانـــي

حـــوار الرحلـة

اختـــارت قـــريش عقبـــة بـــن أبـــي معـــيط جـــار رســـول اللّه ﷺ وألـــد أعدائـــه ... والنضـر بـن الحـارث ابـن خالـة رسـول اللّه ﷺ وألـد أعدائـه .. وبعـد أيـام انطلـق الاثنـان إلى يثرب وهما في الطريق دار بينهما هذا الحوار...

عقبة بن أبي معيط :

ترى هل نرد من يثرب بجواب كافٍ شافٍ يشفي غليلنا وحقدنا الذي نكنه لمحمد ..

النضـــر :

يـا عقبـة ، إنـي أخشـى أن نرجـع مـن يثـرب ومعنـا الخـبر اليقين الـذي يؤكـد صدق محمد ورسالته .

عقبـــة :

ومـاذا لـو حـدث ذلـك ، واللـات والعـزى لـن أغـير رأيـى فيـه أبـدًا وإن عداوتـه ستظل أبد الدهر.

النضـــر :

أمـا لـو أرسـلت قـريش غـيري فأنـا ابـن خالتـه وعلـى علـم وحكمـة .. وإن كنـت أستشعر أن ما عندي لا يساوي شيئاً بجوار ما عند محمد .

عقبـــة :

نعـم شـتان مـا بـين الأسـاطير التـي نرويهـا وليـس لـك فضـل في إنشـائها وبـين ذلـك القول الحكيم الذي يتلوه أبو القاسم .

obeikandl.com

النضـــر :

والـلات والعـزى إنـي لفـي حـيرة مـن أمـره . مـن أيـن أتـى أبـو القاسـم ابـن خـالتي بهـذا العلـم الغزيـر ومـا اختلـف إلى الرهبـان والأحبـار ومـا جلـس إلى حكمـاء فـارس وفلاسفة الإغريق ؟

عقبـــة :

إنـي لأشـك فيمـا جـاء بـه محمـد إنـه لـيس مـن عنـده ربمـا يكـون محمـد صـادقا في قولـه ، لأنـه لـيس بالشـعر ولا بالكهانـة ولا بالسـحر ... والـلات والعـزى لـولا عـداوتي له لقلت بأنه من عند الله الذي يدعو إليه ..

النضـــر :

عـداوة وأي عـداوة لمحمـد إن عـداوتي لـه مريـرة تؤججهـا نـار الحسـد الـتي ترعـى بين ضلوعي .

عقبـــة : أنت تضمر له العداوة ، لأنه أتى بما لا تأتي به أنت .

النضـــر :

إن الـذي يزيـد مـن عـداوتي لـه كيـف يـؤتي الحكمـة ومـا جلـس إلى الحكمـاء وأنـا الذي طفت الأرض شرقاً وغرباً لم أعد إلى مكة إلا بأجزاء الحكمة .

عقبـــة :

حقًّـا كيـف يكـون ذلـك وهـو لم يخـرج مـن مكـة إلا مـرات قليلـة مـع عمـه أبي طالب للتجارة وقد رآه الراهب بحيرا وأخبر عمه بهذه النبوة .

النضـــر :

وقد حذر بحيرا عمه أبا طالب من اليهود وقال له إني أخشى عليه من يهود

عقبـــة :

حسـنًا سـوف نـذكر ذلـك لأحبـار اليهـود ، وعنـدما يسـمعون ذلـك سـيزداد حقدهم عليه ويخبروننا بأنه ليس نبيًّا ولا يصدقه أحد .

النضـــر :

وإذا قـال أحبـار اليهـود بأنـه لـيس نبيًّـا فسـوف يصـدقهم النـاس لأنهـم أهـل علـم وأهل الكتـاب الأول . وهم على علم بكل شيء .

عقبـة : بصوت خافت مرتعش .

والـلات والعـزى كلمـا اقتربنـا مـن يثـرب شـعرت بخـوف ورهبـة شـديدة لم أحس مثلها من قبل ، فلا أدري ماذا حدث لي ؟ ...

النضـــر : وأنا أشعر بمثل ما تشعر ولكن لابد من الوصول إلى أحبار اليهود .

عقبـــة :

ولمـاذا تصـر علـى هـذا الأمـر ؟ لـو رجعنـا إلى مكـة وأخبرنـاهم بـأن اليهـود يقولـون لا علم لنا به . فماذا يحدث ؟

النضـــر :

أجننـت يـا عقبـة أتريـد أن تكـون أضـحوكة القـوم بـالطبع سـوف يعـرف محمـد وأصحابه أننا لم نأت إلى هنا ولم نسأل أحدًا ويضحكون علينا .

عقبـــة : حقًّا ما تقول وسوف يزيد ذلك من ثقة محمد في نفسه وعند الناس .

النضـــر :

قلت لك لابد من مقابلة أحبار اليهود وسؤالهم والتحقق من صدق محمد أو كذبه

عقبـــة : ولماذا كل هذا الإصرار ؟

النضـــر :

قلـت لنـا لابـد مـن هـذا فقـد أصـبح ديننـا بمكـة ومـا عبـد الآبـاء معلقًـا بكلمـات تخرج من بين شفاه هؤلاء الأحبار.

عقبـــة :

ولـــو قـــالوا إن محمـــدًا بـــن عبـــد اللّه رســـول اللّه وأن الـــوحي ينـــزل عليـــه مـــن السماء بآيات اللّه البينات ماذا سنفعل ؟

النضـــر :

اذن سيصبح النضر سخرية القوم ، بعد أن كان من المستهزئين بابن الخالة وقرآنه .

عقبـــة : بصوت خافت مملوء بالخوف الشديد :

وهـل سأسـتريح أنـا مـن تهديـد محمـد فقـد توعـدني أشـد الوعيـد حينمـا نهرتـه وهو ساجد في الكعبة ، يالها من مصيبة ...

النضـــر :

لا تـذكرنا يـا أخـا العـرب بمـا فعلنـاه مـع محمـد لقـد لقـى منـا أشـد العـذاب وصبر على ذلك .

فلطالمـا قلـت عنـه إنـه سـاحر وإنـه كـاهن وإنـه كـذاب وطفـت بـين النـاس في مكة ، وفي موسم الحج أنفر الناس منه ..

عقبـــة :

من الذي يذكر الآخر ؟ وأنا لطالما وضعت له القاذورات أمام بيته ، وتبولت وقضيت حاجتي أمام بابه .. ووضعت على ظهره وهو ساجد في الكعبة أمعاء شاة نتنة .

النضـــر :

ومـــع ذلـــك قـــد زارك وأنـــت مـــريض وســـأل عنـــك لمـــا غبـــت عنـــه ولم تضـــع القاذورات ... يالها من أخلاق .

عقبـــة :

مـــاذا دهـــاك نحـــن قـــد اقتربنـــا مـــن يثـــرب وتريـــد أن تـــثني علـــى محمـــد أنســـيت العداوة بيننا وبينه هيا نستعد للدخول على أحبار اليهود ..

opeikandi.com

المشهـــد الثالـــث

"الخبـــر اليقيـــن"

دخـل عقبـة والنضـر يثـرب وسـألا عـن أحبـار اليهـود وعلمـوا أنهـم في بيـت المـدارس وانطلقـوا إلى بيـت المـدارس وهنـاك مجلـس أحبـار اليهـود الـذين أطلقـوا لحـاهم البيضـاء وغطـوا رؤوسـهم بعمـائمهم السـود وجلسـوا للفتيـا ليسـألاهم عـن محمد بن عبد الله ...

النضـر بـن الحارث :

عمتم مساءً من أين أنتما ؟

النضـــر : وهو يقلب نظره في أهل الكتاب الأول :

نحن من مكة وأنا عقبة بن أبي معيط وهذا النضر بن الحارث .

ابـــن ســـلام :

ولماذا المجيء إلينا ؟ ونحن أهل كتاب وأنتم قوم أوثان .

النضـــر :

أتينا لأمر جلل عظيم .. منا غلام يتيم يقول قولاً عظيماً يزعم أنه رسول الله.

ابـن ســـلام :

صف لنا صفته .

راح النضـر وعقبـة يصـفان رسـول الله ﷺ ولكنهمـا لم يـذكرا شـيئًا عـن خـاتم النبوة . ثم تلا النضر بعض ما أنزل الله من القرآن الكريم .

الحصين بن سلام :

فمن يتبعه منكم ؟

obeikandl.com

عقبـــة :

الذي يتبعه هم سفلتنا وضعفاؤنا .

فأخذ الأحبار ينظر بعضهم إلى بعض ثم قال أحدهم وهو :

فنحـاص :

سلوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فالرجل متقول .

النضـر بـن الحـارث : وعَمٌّ نسأله ؟

فنحـــاص :

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب .

وقال كعب بن راشد :

وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبؤه.

وقال رافع بن حريملة :

وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإذا أخبركم بذلك فاتبعوه فإنه نبي .

النضر بن الحارث في سخرية :

نتبعه ! كيف نتبعه وقد سفه أحلامنا وعاب آلهتنا ؟

قال الحصين بن سلام :

نعـم تتبعونـه فإنـه الحـق وجـاء بـالحق وقـد عرفنـاه في كتبنـا وإن أتـى إلى يثرب يومًا لقيته وعرفته من أوصافه ..

فقال عقبة بن أبي معيط :

أأنتم تعرفونه حقًّا ؟

obeikandl.com

الحصين بن سلام :

نعم نعرفه كما نعرف أبناءنا .

عقبـــة :

هيا بنا يا أخا العرب نرجع إلى مكة بهذه الأخبار لعله لا يستطيع الإجابة عن سؤال واحد منها .

ورجع النضر وعقبة إلى قريش وقالا لهم :

لقد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، وأخبراهم الخبر فقاموا إلى النبي ﷺ ودار بينهم هذا الحوار.

أبـو جهـل :

يا محمد أخبرنا عن فتية ذهبوا في الدهر الأول قد كانت لهم قصة عجب .

عقبـــة :

وعن رجل كان طوافًا قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها وأخبرنا عن الروح ما هي ؟

رجل من المسلمين يقول :

قال لهم رسول الله ﷺ أخبركم بما سألتم غدًا ولم يَقُلْ " إن شاء الله " فانصرفوا عنه وراح النبي ﷺ يترقب الوحي ... ومرت مدة ولم يأته الوحي . فراح الناس يسخرون منه ويهزءون بصاحبه وراحت أم جميل زوجة عمه أبي لهب تدور على البيوت وتقول : أبطأ عليه شيطانه .. وكل من يقابلها في الطريق تقول له هكذا ، ولم تكتف بذلك بل انطلقت إلى دار النبي ﷺ وقالت له في سخرية قلاك ربك يا بن أبي كبشة .

obeikandl.com

نظرت إلى خديجة بنظرات شماتة وقالت :

لعلك تستريحين فلقد انكشف خداعكم وكذبكم ولم تستطيعوا الإجابة عن أسئلة اليهود .

فشق ذلك على رسول الله ﷺ فقامت إليه خديجة تواسيه وتشجعه حتى نهض وخرج يتجول في جبال مكة لعل الوحي يأتيه بما سألوه عنه .

وراحت الأيام تمر وسخرية الكافرين تزداد على مر الأيام وأحزان رسول الله ﷺ وصحابته تزيد معها .

وذات يوم والرسول يجلس في حزن شديد إذا به يرى أمين الوحي جبريل فقال له في شغف ولهفة :

لقد احتبست عني يا جبريل حتى سؤت ظنًّا .

فقال له جبريل :

﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ ﴾ (١)

وأخذ جبريل يخبره عن إجابة الأسئلة الثلاثة . في شأن الفتية وهم أصحاب الكهف . والثاني عن ذي القرنين وخبره . أما سؤال الروح فالله يقول :

﴿ ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ (٢)

وهنا ماج القوم بعضهم في بعض .

فقال ناس أخبرنا عما سألناه .

---

١ - سورة مريم الآية ٦٤.
٢ - سورة الإسراء آية ٨٥

وقال آخرون ومنهم أبو جهل وأبو لهب وغيرهما :

إنه متقول لم يخبرنا عما سألناه لم يقل لنا ما الروح .

وقال آخر " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ".

وراح أبو جهل يهزأ برسول الله ﷺ ... وما جاء به الحق فقال :

يا معشر قريش ، يزعم محمد أن جنود الله الذين يضعونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عددًا وكثرة أفيعجز كل مائة رجل منكم عن رجل منهم ؟

فرد عليه رجل من المسلمين بعد ما نزل قول الله عز وجل :

﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾ (١)

وعادت العداوة بين الكافرين والمؤمنين أشد ضراوةً وقسوة مما كانت عليه وازداد التعذيب للمسلمين ليفتنوهم عن دينهم .

أبو جهل :

لا بد أن تزداد العداوة بيننا وبين محمد .... وكل من اتبعه .. عذبوهم يا معشر قريش ، ونكلوا بهم .

١ - سورة المدثر من الآية ٣١.

obeikandl.com